

دلائل الإعجاز

فذكر الخمسَ التي هي عددُ أناملِ اليدِ فبانَ من مجموعِ هذه الأمورِ غرضُهُ .
وأنشدوا لبعضِ العربِ - الرجز - : .

(فَإِنَّ تَعَاوُوا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ ... فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانًا) .
يريدُ أنَّ في أيماننا سيوفاً نضربُكمُ بها . ولولا قولُهُ أوَّلاً : " فَإِنَّ تَعَاوُوا
الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ " وَأَنَّ في ذلكِ دلالةً على أن جوابَهُ أنهم يُحَارِبُونَ وَيُقَسِّرُونَ
على الطاعةِ بالسيفِ ثم قولُهُ : فَإِنَّ في أيماننا لَمَّا عَقِلَ مرادُهُ ولما جازَ أن
يستعيرَ النيرانَ للسيوفِ لأنه كان لا يُعَقِّلُ الذي يريدُ لأنا وإن كنَّا نقولُ : " في
أيديهم سيوفٌ تلمعُ كأنها شُعَلٌ نارٍ " كما قال - الكامل - : .
(نَاهَضَتْهُمُ وَالْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا ... شُعَلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّبُ) .
فإنَّ هذا التشبيهَ لا يبلغُ ما يُعَرِّفُ مَعَ الإِطْلَاقِ كَمَعْرِفَتِنَا إِذَا قَالَ : " رَأَيْتُ
أَسَدًا " أنه يريدُ الشجاعةَ . وإذا قال : " لَقِيتُ شِمَسًا وَبَدْرًا " أنه يريدُ الحُسْنَ
ولا يقوى تلكِ القوَّةُ فاعرفهُ .

ومما طريقِ المجازِ فيه الحكمُ قولُ الخنساءِ - البسيط - : .
(تَرَوُتَعُ مَا رَتَعَتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ ... فَإِنَّهَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ) .
وذاك أنها لم تُرَدِّ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ غَيْرَ مَعْنَاهُمَا فَتَكُونُ قَدْ تَجَوَّزَتْ فِي نَفْسِ
الْكَلِمَةِ . وَإِنَّمَا تَجَوَّزَتْ فِي أَنْ جَعَلْتَهَا لِكثْرَةِ مَا تَقْبِلُ وَتُدْبِرُ وَلِغَلْبَةِ ذَاكَ عَلَيْهَا
وَإِتِّصَالِهِ بِهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا حَالٌ غَيْرُهُمَا كَأَنَّهَا قَدْ تَجَسَّسَتْ مِنْ الإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
وَإِنَّهَا كَانَتْ يَكُونُ الْمَجَازُ فِي نَفْسِ الْكَلِمَةِ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ قَدْ اسْتَعَارَتْ الإِقْبَالَ
وَالْإِدْبَارَ لِمَعْنَى غَيْرِ مَعْنَاهُمَا الَّذِي وَضَعَا لَهُ فِي اللُّغَةِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَيْسَ الِاسْتِعَارَةُ مِمَّا
أَرَادَتْهُ فِي شَيْءٍ